

تدوين القانون في العراق

(مدونة حمورابي أنموذجا)

Codification of the law in iraq

(The codex Hammurabi the model)

نوال لصلح *

جامعة 20 أوت 1955 – سكيكدة-

n.lasledj@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/30 تاريخ القبول: 2023/04/27

● الملخص:

ما إن عرفت الشعوب الكتابة تطور نموها الحضاري، حتى اهتدت إلى تدوين مختلف نشاطاتها الحضارية، ويمثل القانون مقدمة هذه المدونات لاسيما في ظل العيش تحت كنف نظام معين، لتنظيم العلاقة بين الأفراد والحاكم. وتعتبر بلاد ما بين النهرين مهدا لأقدم الحضارات والشرائع، حيث ظهرت العديد من الشرائع منها: شريعة أورنمو، وشريعة لبث عشتار، وشريعة أشنونا.... وغيرها من الشرائع، وبلغت بلاد الرافدين تقدما تشريعيًا وإداريًا لم يسبق له مثيل لاسيما في عهد الملك حمورابي الذي أسس الإمبراطورية البابلية وحكمها طيلة 42 عاما، وفي نهاية حكمه أصدر قانونا حمل اسمه وهو "شريعة حمورابي" والتي تعد بحق نموذجا رائعا في التاريخ القانوني للعالم القديم فهي من أكمل وأقدم القوانين المكتوبة من ناحية تنظيم كل ما يتعلق بجميع مناحي الحياة في تلك الفترة. كلمات مفتاحية: القانون، التدوين، مدونة حمورابي

Abstract:

As soon as writing was discovered , it led to a growth in urbanization and people began to record their urban activities in writing .the law emerged as the leading of those writings,particularly while living under a certain system with the intention of establishing the relationship between ruler and subjects .

Mesopotamia is the cradle of ancient civilizations and canons .it is the origin of nunerous canons such as the code of Ur –Nammu,code of lipit ishtar,the laws of Eshnunna,and many more .Mesopotamia witnessed an unprecedental legislative and administrative development ,especially during the rule of king Hammurabi .he established the Babylonian Empire and ruled for 42 years .He enacted « the law code Hammurabi » which was named after him.which is truly a great example in the legal history of the ancient world ,it complements and introduces written laws in tremns of regulating all aspects of life in these areas.

Keywords: Law,codification ,the codex Hammurabi

● مقدمة:

تعتبر شريعة حمورابي المحور الأساسي لأي دراسة تاريخية وقانونية في بلاد الرافدين ، فهذا القانون من أروع ما ابتدعته عبقرية الانسان القديم ، حيث كان له صدى كبير على رجال القانون بصفة عامة وعلماء القانون بصفة خاصة، ارتبط اسمه بالملك حمورابي (1750-1792) الذي يعتبر أعظم ملوك العراق القديم ، وسادس ملوك السلالة البابلية الأولى ، وأول ملوك الإمبراطورية البابلية وهو من أصل قبائل العموريين ، وهي قبائل شبه بدوية من غرب سوريا وقد بدأوا منذ القرن الثالث قبل الميلاد بالانتشار في بلاد ما بين النهرين وكذلك بلاد الشام¹ ، يتكون إسمه من مقطعين : الأول : " حَمَو " وتعني الأسرة باللغة الأموية ، و " رابي " وتعني العظيم باللغة الأكادية².

حرص الملك حمورابي على مصلحة شعبه منذ توليه الحكم، حيث قام ببناء الأسوار حول المدينة من أجل تحصينها ضد الهجمات والأخطار الخارجية، والعمل على بناء المعابد والقصور والمباني الفخمة، كما عمد إلى تطوير اللغة البابلية وتوحيد بلاد الرافدين وأجزاء كبيرة من بلاد الشام ووصولاً إلى البحر المتوسط.

إضافة إلى كل هذه الإنجازات فقد صنع لشعب دولته نظاماً تشريعياً موحداً ، كان خلاصة الشرائع التي سبقته حتى أضحى مرجعاً هاماً للشعوب والملوك : كالأشوريين والعبرانيين والحثيين، حيث تعتبر هذه شريعة حمورابي مجموعاً من القوانين بابلية بلغ عددها 282 مادة قانونية تعالج مختلف شؤون الحياة الاقتصادية ، الاجتماعية ، وهو على جانب كبير من الدقة لواجبات الأفراد وحقوقهم في المجتمع ، كل حسب مسؤوليته ووظيفته ، سجلها الملك حمورابي على مسلة كبيرة أسطوانية الشكل ، من الحجر الأسود الديوريت يبلغ طول العمود نحو 225 سم ويبلغ قطره نحو 60 سم ، وتعد تلك المسلة من أفضل الكتابات التصويرية القديمة ، والتي أظهرت جوانب حضارية رفيعة في بلاد الرافدين ، وتم العثور على نسخ مختلفة من أجزاء القانون على ألواح وطينية مخبوزة ، وهي محفوظة حالياً بمتحف اللوفر بباريس .

وقد طبق هذا القانون على جميع المدن والأقاليم التي ضمتها الدولة البابلية وضم القانون مختلف القواعد والأحكام القانونية كمبدأ التعويض ومبدأ القصاص ومبدأ عدم جواز التعسف في استعمال الحق الفردي ومبدأ القوة القاهرة، وكان يتم تعديل بعض القوانين وإضافة قوانين أخرى تتطلبها المرحلة الجديدة التي تمر بها الإمبراطورية.

أهمية البحث

ترجع أهمية هذا البحث إلى أهمية شريعة حمورابي في حد ذاتها ، لأن هذه الشريعة لا تعرف إلا في إطار القانون ، فهي تدرس وتطبق وتنفذ ويستشهد بها بل أن القوانين الجديدة اليوم ما هي إلا امتداد لشريعة حمورابي نظراً لأسلوبه العلمي والعملية ، وهو ما جعل المختصين في القانون يصفونه أنضج وأشمل قانون مدون يعود إلى فترة ما قبل الميلاد، نظراً لترسيخها العديد من المبادئ القانونية التي لازال يتم العمل بها لحد الآن ، فالذي يطلع على هذا الاسم يجد تقدماً تشريعياً ناظماً لكل أمور الحياة ، وصرامة إدارية وتأسيساً لحكم ساد بلاد الرافدين قبل نحو أربعة آلاف عام .

أهداف البحث

¹ - عربي بوست، أقدم القوانين في التاريخ خرجت من بلاد الرافدين...ماذا تعرف عن شريعة حمورابي، الموقع الإلكتروني : <https://arabicpost.net>، تاريخ الاطلاع : 2022/03/15، الساعة 12:45.

² - تمام طعمة ، نبذة عن الملك حمورابي ، الموقع الإلكتروني : <https://mawdoo3.com>، تاريخ الاطلاع : 2022/03/14 ، الساعة 10:00 .

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على حقبة مشرقة من تاريخ العراق القديم في مجال إبراز دور وأهمية شريعة حمورابي في وضع قواعد قانونية محددة تناقش كل المشاكل التي تعترض المجتمع من خلال إقرار حقوق وواجبات الفرد، إذ يعد بمثابة الدستور المكتوب في العصر الحديث وتكريسا للديمقراطية في مدينة بابل القديمة.

إشكالية البحث:

إلى أي مدى ساهمت التشريعات المدونة من بينها شريعة حمورابي في تطوير القوانين الحديثة في عالمنا المعاصر؟ للإجابة على هذه الإشكالية قسمنا موضوع بحثنا إلى قسمين:

أولاً: ماهية تدوين القانون

ثانياً: مدونة حمورابي

وقد اتبعنا في هذا البحث العديد من المناهج من بينها: المنهج التاريخي لسرد الحقائق التاريخية التي مرّ بها تدوين القانون لا سيما شريعة حمورابي والسياق التاريخي لهذه الشريعة، والمنهج الوصفي لوصف ظاهرة التدوين التشريعات، والمنهج التحليلي الذي من خلاله تم تحليل مضمون شريعة حمورابي ومقارنتها بالتشريعات المعاصرة إستناداً إلى ما تطرق إليه فقهاء تاريخ القانون حول حضارة بلاد النهرين.

1. ماهية تدوين القانون

لما اكتشفت البشرية الكتابة حتى سارعت إلى تدوين أوجه نشاطاتها الحضارية المختلفة المجالات من بينها القانون ، فجاءت مدوناتها القانونية معبرة عن الأعراف السائدة التي عاشتها المجتمعات في تلك الفترة ، فالتشريعات كمصدر للقانون ظهرت وعرفت في المجتمعات الأولى ولا علاقة لها بالكتابة (أي مدونات عرفية) لأن التشريع كمصدر للقانون يرتبط بوجود التنظيم السياسي للمجتمع وليس بالكتابة¹ و لكن هناك من الشعوب من فضلت تجميع هذه التشريعات فيما بعد في مدونة واحدة وأصبحت مدونات رسمية صادرة عن السلطات الحاكمة في الدولة، في حين أن هناك شعوب أخرى كما هو الحال في إنكلترا عرفت الكتابة ولكنها لم تدون قانونها لحد الآن.

1.1 تعريف تدوين القانون

التدوين في اللغة أتى من فعل دَوَّنَ . يدوّن، تدوينا، فهو مُدوّن، والمفعول مُدوّن، يقال دَوَّنَ مُدَكِّرَاتِهِ: كَتَبَهَا، وَ دَوَّنَ الشَّاعِرُ دِيْوَانَهُ : وَضَعَهُ وَجَمَعَهُ، دَوَّنَ اسْمَهُ : كَتَبَهُ فِي الدِّيْوَانِ، دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ : أَسَّسَهَا، أَنْشَأَهَا: عَمَّرَ بِنِ الخَطَابِ أَوَّلَ مِنْ دُونَ الدَّوَاوِينَ : رَتَّبَ الصَّحْفَ يَكْتُبُ فِيهَا أَهْلَ الجَنْدِيَّةِ وَأَهْلَ العَطِيَّةِ وَالعَمَّالِ وَسَوَاهِمَ ، دَوَّنَ الكُتُبَ: جَمَعَهَا وَرَتَّبَهَا ، ودَوَّنَ الشَّيْءَ : سَجَّلَهُ ، أثبتته بالكتابة حفظاً له من الضياع

ومن الناحية الاصطلاحية يقصد بالتدوين بصفة عامة : كتابة أو تجميع رسمي لأهم الأحكام والمبادئ القانونية بصياغة يراها المدون مناسبة من حيث الوضوح ومن حيث اشتمالها على الأدلة والنصوص ، دون أن تكون على شكل مواد مرقمة أو سلسلة وهو

بذلك يختلف عن التقنين¹ الذي يعني صياغة الأحكام والمبادئ على شكل مواد مرقمة ومسلسلة ومختصرة ، وتصاغ بأسلوب يطبع عليه طابع الأنظمة² أو هو تجميع رسمي لأهم المبادئ القانونية في منظومة تشريعية واحدة.

وعرفه الفقه على أنه " عبارة عن جمع القواعد الخاصة بفرع من فروع القانون بعد تبويبها وترتيبها وإزالة ما قد يكون بينها من تناقض وفيها من غموض في مدونة واحدة ، ثم إصدارها في شكل قانون تفرضه الدولة عن طريق الهيئة التي تملك سلطة التشريع فيها ، بصرف النظر عما إذا كان مصدر هذه القواعد التشريع أو العرف أو القضاء أو العادة أو غير ذلك من مصادر القانون " ³.

وإن كان هناك من يعتقد أن مصطلح التدوين والتقنين مصطلحان مترادفان من الناحية المصطلحية لأن التدوين ساهم في توحيد ونشر القواعد القانونية وتفادي تحريف مضمونها وجعلها معلومة للجميع وبالتبعية ضمان تطبيقها الصحيح⁴، إلا أن هناك من يرى العكس لأن التقنين في هذا العصر أصبح علما على طريقة في صياغة الأنظمة تختلف اختلافا كبيرا عن أسلوب التدوين⁵.

وفي خضم هذا الاختلاف نرى من جهتنا أن التدوين أعم من التقنين ، لأن التدوين يعني التجميع الشامل لكل المواضيع لحمايتها من التلف من دون ترتيب في حين التقنين يخص التشريعات القانونية لوضعها على شكل مواد مرقمة ومتسلسلة حسب طبيعة المواد ، فالتدوين كان ولازال مرتبطا بالكتابة ، أما التشريع فلا يرتبط بالضرورة بالكتابة ، لأنه لا يشترط صدوره في شكل قواعد مكتوبة.

وبظهور الكتابة اختلفت طرق التدوين بالنسبة للشعوب ، فوجدت الكتابة المسمارية وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تكتب على حجر من الطين المجفف باستعمال شيء مدبب يشبه المسمار ، ووجدت الكتابة الهيروغليفية في مصر القديمة، كما عرفت الشعوب في وقت لاحق الكتابة بالأحرف الهجائية التي اخترعها الفينيقيين وهي أصل جميع اللغات اللاتينية واليونانية والعربية.

1.2 أسباب التدوين

من أهم الأسباب التي ساهمت في انتشار ظاهرة تدوين القانون :

2. 1. أ - توضيح القاعدة القانونية وتعميم تطبيقها: تدوين القانون وسيلة فعالة لوضوحها، فكلما كانت القاعدة القانونية مدونة كلما سادها الوضوح والدقة، وكلما كانت غير مدونة اتسمت بالغموض، فالتدوين يضيء الوضوح والشفافية على القاعدة القانونية ، مما يكفل لها الاحترام وعدم تركها لتفسير أهواء القائمين على تطبيقها الأمر الذي يجعلها عرضة لعدم الاستقرار ويجعل من الصعب تطبيقها .

¹ - هناك من يرى أن جذور عملية التقنين تمتد عمقا في التاريخ حتى قبل التقنين المشهور لحمورابي حوالي 1750 ق-م وذلك نحو 2400 سنة ق-م وتطورت هذه العملية في الضخامة والاتساع ، وعرفت أهمية كبرى في القانون الروماني ففي خلال هذا العصر ظهر مصطلح التقنين.

لتفصيل أكثر حول هذا الموضوع أنظر:

- مختار دويبي، ضوابط جودة القاعدة القانونية، أطروحة دكتوراه في القانون العام ، جامعة جيلالي اليابس ، جيلالي اليابس، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، 2015/2014، ص 207 ، الموقع الإلكتروني : <http://rdoc.univ-sba.dz>، تاريخ الاطلاع : 2022/05/17، الساعة 15:45.

² - عبد المحسن عبيكان، تقنين الأحكام الشرعية ، جريدة العرب الدولية ، الشرق الأوسط ، الموقع الإلكتروني : <https://archive.aawsat.com> تاريخ الاطلاع : 2022/05/14 ، الساعة : 16:12.

³ - محمد زكي عبد البر ، تقنين الفقه الإسلامي المبدأ والمنهج والتطبيق ، الطبعة 02 ، دار إحياء التراث ، قطر ، 1986، ص 12.

⁴ - أد / الحسين عمروش، تاريخ النظم القانونية ، دروس في مقياس تاريخ النظم القانونية ، مقدمة للسنة الأولى (ليسانس ل.م.د) جذع مشترك، جامعة يحيى الفارس ، المدينة ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، الجزائر، 2021/2020 ، ص 14.

⁵ - د/ محمد السعيد ، تقنين الفقه وتدوينه مختلفان أم مترادفان ؟ الموقع الإلكتروني : <https://majles.alukah.net> تاريخ الاطلاع : 2022/05/12 ، الساعة : 20:12.

1.2. 1. ب- حفظ القواعد القانونية من الضياع والتبديل : قديماً اعتمدت الشعوب على ذاكرة الشيوخ في معرفة التقاليد القانونية السائدة الأمر الذي عرضها للنسيان والتحريف والتبديل ، لذلك اعتبرت الكتابة خيراً وسيلة لتجنب كل هذه السلبيات¹.

1.2. 1. ج - تعدد القضاة : بعد ان اتسعت الرقعة الجغرافية للدولة واتسع عدد سكانها ، بدأت تظهر حاجة المجتمع إلى تدوين القانون في ظل تعدد القضاة واستحالة انفراد شخص واحد للقيام بوظيفة القضاء ، لذلك كان لابد من وجود قواعد قانونية موحدة يطبقها القضاة المتعددون وأيسر سبيل لذلك هو تدوينها ، وخير مثال على ذلك لما لجأ حمورابي إلى تدوين القانون وإصدار مدونته الشهيرة بغية توحيد القانون الواجب التطبيق بعد ان اندمجت دويلات ما بين النهرين في دولة واحدة هي دولة بابل².

1.2. 1. د- نشر القانون : يضاف إلى هذه الأسباب سبب آخر هو نشر القانون ليعلم به كافة الناس ، حتى لا يستأثر بعلمه فئة دون فئة أخرى ، لذلك فان تدوين القانون هو الوسيلة الفعالة لنشره و تعميمه بين الناس و إلزامهم باحترامه و تطبيقه و منع الخلاف في تفسيره حسب الأهواء و الآراء الشخصية ، و هذا مما يفرض احترامه و يضمن بقاءه، وقد كان نشر القانون سبباً رئيسياً لتدوينه لدى الإغريق والرومان وكان خطوة هامة في سبيل تحقيق انفصال السلطتين الزمنية والدينية عن بعضهما وانفصال القانون عن الدين.

2. مدونة حمورابي³

يعتبر المؤرخون قانون حمورابي دليلاً لنظام منطقة ما بين النهرين يهدف إلى حل النزاعات ومعاقبة المجرمين وتنظيم الأعمال التجارية وكان له تأثير كبير في تطور أنظمة القوانين والمحاكم في الو.م.أ وغيرها من المجتمعات الحديثة عبر قرون عديدة، وقد اعتبرته كيلبي آن ديموتد أستاذة تاريخ مساعدة في جامعة فيلانوفيا " يعد القانون تسجيلاً محفوظاً ودقيقاً في فترة حكم السلالة الأولى لبابل"⁴.

ويستند تشريع حمورابي إلى مجموعة من الأفكار والمبادئ التي تمثل خلاصة التجربة القانونية للعراقيين القدماء، كما أن هذه المبادئ تعبر عن المرحلة المتطورة في البناء الاجتماعي والاقتصادي للعراق القديم ، وعلى الرغم من السياقات النظرية لبعض تلك المبادئ القانونية إلا أنها تعبر دون شك عن الطموحات التي كانت تتفاعل في ضمير المجتمع⁵.

¹ - د/ صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، دون مكان طبع ، دون مكان نشر ، 2007 ، ص 120 .

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة .

³ - في مدينة (سوزا) عاصمة دولة (عيلام) القديمة والتي تقع آثارها في جنوبي إيران اليوم ، عثرت بعثة علمية فرنسية برئاسة العالم الأثري (دي مورغان) سنة 1901 ، على نصب تذكاري طوله 2.25 م ومحيطه عند القاعدة 1.90 م من حجر الديوريت الأسود ، وكان اكتشاف النصب سبباً في التوصل إلى الحصول على نصوص أول مدونة قانونية عرفها الإنسان ، وهي المدونة المعروفة باسم " تشريع حمورابي) ، هذا النصب الذي يقع الآن في متحف اللوفر في باريس ، يحمل في أعلاه رسماً للإله الشمس ، اله الحكمة والعدالة ، جالساً على عرشه و يقدم لحمورابي الواقف أمامه بخشوع ألواح شريعته ، وذلك دلالة على مصدرها الإلهي .

⁴ - كيف أثر حمورابي في القوانين الحديثة ، الموقع الإلكتروني : <http://www.ibelieveinsci.com> ، تاريخ الإطلاع : 2022/05/10 ، الساعة 14:56 .

⁵ - أنور عبد الكريم عبد القادر ، نظام الملكية من الناحية القانونية في الشرائع العراقية القديمة ، مجلة ديالى ، العدد 84 ، العراق ، 2020 ، ص 629 .

2.1 أقسام شريعة حمورابي

ينقسم تشريع حمورابي إلى ثلاثة أقسام وهي : المقدمة ، النصوص ، الخاتمة ، حيث بدأ قوانينه بمقدمة على غرار شريعتي أورنمو ولبت عشتار ولكنها كتبت بكثير من التفصيل ، مع تأكيده البالغ على شرعية قوانينه التي شرعت لتوطيد العدل وإحقاق الحق وهداية الحكام والولاة في تطبيق الأحكام على الناس ، ورتبت مواد تشريعه في أربعة وأربعين حقلاً ، وكتبت باللغة الأكديّة وبالخط المسماري ، ومن المرجح أنها كانت تزيد عن ثلاثة مئة مادة ، ولم يبق منها سوى 282 مادة ، وعرضت هذه المواد في ثلاثة عشرة قسماً¹ وستتولى تفصيل كل التقسيمات بشيء من التفصيل كما يلي :

2.1.1 - المقدمة : كتبت بأسلوب أدبي رائع أقرب للشعر منه للنثر ، تضمن تمجيد الآلهة التي اختارته لنشر العدالة، حيث يقول في مقدمته " لقد دعنتي الآلهة حمورابي الأمير النبيل الذي يحترم الآلهة ويشيد العدالة.. أنا حمورابي ملك العدالة، أنا الذي اهداني الآلهة شمش هذه القوانين، لكي أقضي على الظلم وعلى الناس الشريرين.. لا يجوز للأقوياء أن يعتدوا على الضعفاء.. أنني قد اتيت لأنشر العدالة بين الناس كما تنشر الشمس ضيائها على الأرض .. ارسلني الآلة مردوك إله بابل لأحكم بين الناس بالعدل واحمي الارض.. لذلك فإنني وضعت القوانين والعدالة بين أيدي الناس وهيات لهم الخير والسعادة.. لا يجوز للقوي ان يعتدي على الضعيف كما أنه يجب علينا حماية الارامل والايتام.. أنا حمورابي الذي دعاه الليل سيد السماء والارض الذي يجمع اطراف الوفرة والرخاء .. انا حمورابي الصارم بين الملوك.. الخادم الوفي للآلهة الذي يواظب على تقديم القرابين الذي يقبض بشدة على الخصوم.. قاهر المدن المجاورة للفرات بالامر الموحى.. الامير التي الذي يقيم الولائم المقدسة.. والذي يجمع شمل شعبه.. فليتقدم المظلوم لأنصفه.. وليقرأ ما هو مكتوب على تمثالي ويتفهمه ويعرف حقوقه ويشعر بالسعادة ليقبل كل مظلوم أن حمورابي سيد وأب لعموم رعيته... حينما امرني مردوك بأن اجري العدل بين شعب البلد نشرت الحق والعدل في طول البلاد وعرضها وجعلت الشعب يزدهر ، في ذلك الوقت قررت"².



تجسيد لحمورابي أعلى مسلة شريعة حمورابي

المصدر : حمورابي [/https://areq.net](https://areq.net)

¹ - المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

² - إحسان هندي ، تشريع حمورابي ، الموقع الإلكتروني : <https://www.hammurabi.legal> ، تاريخ الاطلاع : 2022/12/29 ، الساعة : 16:26 .

- 2.1. ب - النصوص :** تضمنت شريعة حمورابي 282 مادة نقشت بشكل أعمدة عددها 51 عمود باللغة البابلية والخط المسماري ، وقد تناولت المواد مختلف نواحي الحياة العملية ، وتغطي مجموعة واسعة من القضايا آنذاك ، وهي كالتالي :
- جرائم الإدارة القضائية وهي الاتهام الكاذب وشهادة الزور
 - الجرائم المرتكبة ضد الملكية وتشمل السرقة وإخفاء الأموال المسروقة والاختطاف والنهب وإيواء عبد هارب
 - أحكام الأراضي والدور، وتشمل واجبات وإلتزامات الزارع وجرائم الري وعقد المزارعة
 - أحكام التجارة... وتشمل القرض والوكالة ونقل البضائع والفوائد والشراكة.
 - الأضرار التي تلحق بالأشخاص والممتلكات والإهمال الزراعي ومعدلات الإيجار والأجور وبيع العبيد.
 - الزواج ومراسمه ولم يسمح بتعدد الزوجات، الطلاق، أموال الزوجة، الإرث، التبني، جرائم التشهير، الزنا
 - الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص مثل الإجهاض والإيذاء.
 - أحكام الزراعة والري... وتعالج حالات العامل الزراعي وراعي الماشية وعقد المزارعة
 - أحكام الرقيق وتشمل بيع الرقيق.
 - المواد من 01 إلى 05 تتعلق بالقضاء والشهود، مثلاً تنص المادة 03 " إذا تقدم رجل ليدلي بشهادة في دعوى جنائية، ولم يثبت صحة أقواله وكانت الدعوى من الدرجة الأولى يقتل ذلك الرجل " ¹
 - المواد من 06 إلى 25 تتعلق بالسرقة والنهب، مثلاً تنص المادة 08 " إذا سرق الرجل حماراً أو خنزيراً أو قارباً من أملاك الإله أو من أملاك القصر الملكي ، فسوف يدفع ثلاثين مثلاً وأن كانت السرقة من قروي عادى فإنه يرد عشرة أمثاله ، وأن لم يكن معه ما يدفع فإنه يحكم عليه بالقتل " .
 - المواد من 40 إلى 89 تتعلق بالحقل والبساتين والبيت مثل المادة 48 " إذا كان على شخص دين، وغرقت حقله بمياه الفيضان أو أن الحقل إنتاجه كان قليل جداً بسبب ندرة الماء، فسوف يعفى في تلك السنة من تسديد الجيوب لدائنه " .
 - المواد من 90 إلى 107 تتعلق بالتجار مثل المادة 98 التي تنص " لو أعطى رجلاً مالا لرجل آخر بهدف الشراكة فإنهم يقسمون الخسائر والأرباح الناتجة إله بشكل متساو " .
 - المواد من 108 إلى 111 تتعلق بساقية الخمر مثلاً المادة 109 " إذا تجمع مجموعة من الخارجين عن القانون أو العصاة في حانة ولم تقم صاحبة الحانة بالقبض عليهم وتسليمهم في القصر ، فحينها تقتل صاحبة الحانة " .

¹ - سهيل قاشا، شريعة حمورابي، (ترجمو محمود الأمين)، دار الورق للنشر المحدودة، لندن، 2007، ص 13.

- المواد من 112 إلى 126 تتعلق بالبيع ، مثلا تنص المادتين 115-116 " لو كان لرجل عند رجل آخر ديناً وقام باحتباس شخص كرهينة ، فإذا ماتت الرهينة ميتة طبيعية فلا حق لأحد بالادعاء ، أما إذا ماتت الرهينة نتيجة التعذيب أو سوء معاملة ، وكانت الرهينة ابنه ، فله أن يقتل ابن المحتبس وإن كان عبده يدفع المحتبس ثلاثة مئة من الفضة ، بالإضافة إلى دفع كل ما أقترضه " ، وتنص المادة 117 " إذا كان هناك التزام مستحق تجاه أحد الطرفين ، وباع ذلك (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته ، أو إذا كان ملزماً بالخدمة ، فيجب عليهم العمل في منزل المشتري أو الملتزم به ثلاث سنوات مع إطلاق حريتهم في العام الرابع " .

- المواد : من 127 إلى 195 تتعلق بالأسرة وعلاقة الأفراد ببعضهم البعض من زواج وطلاق والتبني ، مثال المادة 148 " إذا مرضت زوجة الرجل فلا يجوز له أن يطلقها ، ولكن له الحق في التزوج مرة أخرى ، لكن مع بقاء زوجته المريضة في بيتها " .

- المواد : من 196 إلى 227 تتعلق بغرامات نقض العقود والاتفاقيات والتعويضات ، مثال المادة 200 " إذا اقتلع سيد سن رجل آخر من نفس طبقتة فعليه أن يقتلع سن هذا السيد " .

- المواد : من 228 إلى 240 تتعلق بتحديد الأسعار ، وتحديد أجور بناء البيوت ، والقوارب ، مثال المادة 236 " إذا أجر السيد مركب لمراكبي ولم يهتم بهذا المراكبي بالمركب وغرق فعليه أن يعرض صاحب المركب بمركب آخر " .

- المواد : من 241 إلى 277 تتعلق بأجور الحيوانات والأشخاص ، مثلا تنص المادة 247 " إذا استأجر سيداً عجلاً ، ثم فقا عينيه ، فعليه أن يدفع نصف ثمنه فضة لصاحب العجل " .

- المواد: من 278 إلى 282 تتعلق بحقوق وواجبات العبيد، مثلا نص المادة 278 " إذا اشترى سيداً عبداً أو أمه ، وبعد شهر أصيب بصرع فعليه أن يردده للبائع ويسترجع أمواله " ¹ .

وعليه من خلال توضيح محتوى شريعة حمورابي نلاحظ أنها المواد القانونية إلى ثلاثة زمر: المواد الاجتماعية، المواد الاقتصادية، الجرائم وعقوباتها .



نص من شريعة حمورابي

المصدر : حمورابي <https://areq.net>

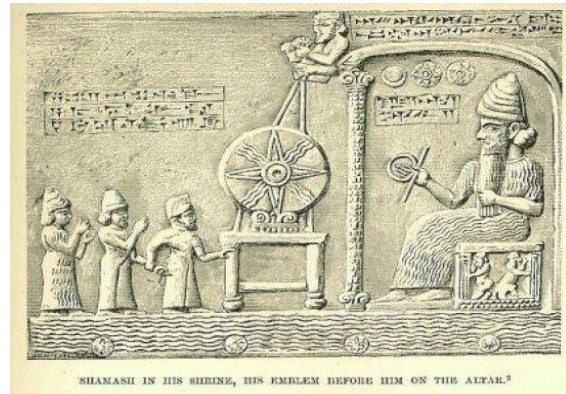
¹ - منى عز علي البكر ، تشريعات حمورابي وحور محب (دراسة مقارنة) ، Minia Journal of Tourism and Hospitality Research ، مجلد 08 ، عدد 02 ، ديسمبر 2019 ، ص ص 30 ، 31 ، الموقع الإلكتروني : <http://mjth.r.journals.ekb.eg> ، تاريخ الاطلاع : 2022/05/18 ، الساعة 20:23.

2.1 ج - الخاتمة : ختم حمورابي شريعته بقوله: (إن الشرائع التي رفع منارها الملك الحكيم حمورابي وجدت حتى لا يظلم الأقوياء الضعفاء وحتى ينال العدالة اليتيم والأرملة، ولعل الملك الذي يكون في الأرض فيما بعد ان يرضى ألفاظ العدالة التي نقشتها على اثري) وقد كان لحمورابي ما أراد فخلده تشريعه أكثر مما خلده فتوحاته حيث انتقل من بابل الى بلاد اشور وعيلام وغيرها¹ وبهذا الصدد يشير (ول ديورات) " أنه من النادر أن تجد الإنسان في تاريخ الشرائع كلها ألفاظ أرق وأجمل من الألفاظ التي يختتم



<https://areq.net> عمود شريعة حمورابي

زيادة على ذلك فقد انتهج حمورابي في شريعته نهجان في آن واحد : الأول هو تجميع التقاليد العرفية التي كانت سائدة قبل عهده ، والثاني القيام بدور المصلح الاجتماعي بجانب دوره كمشرع ، وفي دوره كمصلح قد ظهر في قيامه عن عمد في بعض الأحكام بوضع حكمتين مختلفتين للمسألة الواحدة ، هادفا من وراء ذلك احترام مشاعر وتقالييد بعض الدويلات ويظهر ذلك في مسائل الزواج ، حيث كان يضع أكثر من حكم احتراماً لمشاعر الساميين والسومريين ، وهذا ما يسمى بازدواجية أو ثنائية الحلول القانونية ، حيث أن للأفراد الحق في اختيار الحكم الذي يتناسب مع ظروفهم .



جزء من مخطوطة نقشت عليها شريعة حمورابي

¹ - إحسان هندي ، مرجع سابق .

² - مصطفى فاضل كريم الخفاجي، تاريخ القانون في المجتمعات القديمة (قانون حمورابي أنموذجا) ، مجلة مركز بابل ، الدراسات الإنسانية ، مجلد 03 ، عدد 02 ، العراق ، 2013 ، الموقع الإلكتروني : <https://www.iasj.net> ، تاريخ الاطلاع : 2022/04/15 ، الساعة : 10:20 .

2.2 خصائص تشريع حمورابي

يعتبر قانون حمورابي ، أكمل وأوضح قانون مدون مكتشف لحد الآن ، لذا يتسم بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن القوانين الشرقية والغربية التي تزامنت معه ، وهي كلها تصنف على أنها خصائص عامة سواء من ناحية التبويب والصياغة ، أو من حيث المحتوى أو المضمون ، أو من ناحية الأهمية واحترام الناس لهذا القانون ، ويذكر التاريخ أن حمورابي لم يضع قوانينه من العدم وإنما بفضل حنكته وفطنته استفاد من جميع الشرائع التي سبقته منها: وثيقة إصلاحات أور كاجينا ، شريعة لبت عشتار، قانون أشنونا ، فقد قام بجمع الأعراف والقوانين السومرية والأكادية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين ، وهذبها وأضاف إليها ما ينقصها ثم سكبها جميعا في مدونة واحدة متكاملة ، لذلك جاء قانونه على درجة كبيرة من الرقي بالمقارنة مع القوانين القديمة من ناحية تلبية حاجات الشعب ذي مدنية وحضارة متقدمة¹ ، وستتولى التطرق لأهم هذه المميزات أو الخصائص على النحو التالي :

2.2.2 أ- من حيث التبويب والصياغة

تمت صياغة مدونة حمورابي بأسلوب شرطي أي أن كل فقرة من فقرات المدونة كانت تتكون من جمل شرطية ، حيث نجد بعض مواد القانون تبدأ بأداة شرط مثل : إذا ، أو ، إن ، وتنتهي بجواب الشرط وهو حكم القانون في المسألة المعروضة والجزاء المترتب على ذلك ، وهذا الأسلوب كان موجودا في مدونة أورنامو ، ومدونة لبيث عشتار ، كما أن صياغة الأحكام جاءت بأسلوب حالات فردية بعيدة عن وضع مبادئ وقواعد عامة، ولم ترتب الأحكام ترتيب منطقي بل يحكم ترتيبها الغريزة الإلهية لتداعي الأفكار، فهو تشريع اعتمد على المنهج الافتراضي في صياغة أحكامه بوضع حلول قانونية لمسائل حقيقية أو افتراضية.²

2.2.2 ب- من حيث المحتوى أو المضمون

تعتبر مدونة حمورابي مدونة شاملة لكونها أحاطت بكل القواعد المتعلقة بسائر فروع القانون، رغم قلة نصوصها، وتم تدوين القواعد القانونية التي تحتاج إلى إيضاح أو تفسير يمنع ما قد يثور بشأنها من خلاف مثل: القتل الخطأ. كما أنها مدونة عامة التطبيق على كافة ربوع البلاد لتحقيق الوحدة القانونية في بلاد ما وراء النهرين ، يغلب عليها الطابع التقدمي لاشتمالها على أحكام تعكس وصول المجتمع العراقي إلى أعلى درجات الرقي ، فقد اعترفت المدونة بنظام الملكية الفردية ، وحرية التعاقد ، وتقدير الأهلية القانونية الكاملة للمرأة ، والاعتراف بحرية ممارسة التجارة ، وهو ما يعكس سيادة العامل الاقتصادي للمجتمع البابلي في عهد حمورابي ، حيث تم نقل المجتمع البابلي من مرحلة الاقتصاد العائلي والبدائي والزراعي إلى مرحلة الاقتصاد التجاري المفتوح على الخارج والقائم على المذهب الفردي الحر، حيث نشطت في عهده التجارة مع أقاليم البحر المتوسط التي كانت تجلب منها الأخشاب والمعادن والأحجار.³

1 - حسن نعمه كريم، المركز القانوني للمرأة في شريعة حمورابي ، رسالة للحصول على درجة الماجستير في الحقوق، كلية الحقوق ، جامعة بنها ، مصر، 2018، ص 01 .

2 - أد - الحسين عمروش ، مرجع سابق ، ص 04 .

3 - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وعالجت مسائل هامة في المجال التجاري مثل: جواز دفع المديونية لحامل الصك حتى ولو لم يكن هو الدائن، وأيضاً استخدام ما يشبه الشيكات في التعامل، وما يشبه خطابات الضمان وإنشاء الشركات وتحديد سعر الفائدة، كما توصل إلى مفاهيم قانونية جديدة كال عقود الباطلة.

وعليه من ناحية المضمون حققت هذه المدونة العدالة بين أفراد الشعب من ناحية تحديد أجور العمال، وتحديد أسعار بعض الحاجات الضرورية (كالقمح، الزيت، الصوف).

2.2. ج-خلوه من الأحكام الدينية

لم يضمن أي إشارة للأحكام الدينية والعقوبات الآخروية، كما أنه لم يتعرض للعبادات وللكهان، بالرغم من أن هذا التشريع ديني أوحى به الإله " شمش " إله الشمس إلى حمورابي، حيث نلاحظ التمجيد في مقدمة المدونة وفي الخاتمة " القاضي الأعظم للسماء " ومع ذلك فإن نصوص القانون لم تحفل بالآلهة _ رغم تمجيدها لها _ فجاء التشريع بقواعد علمانية بعيدة عن الصيغة الدينية، ولذلك يختلف قانون حمورابي من هذه الناحية عن القوانين الدينية مثل: القانون اليهودي والقانون الهندي.¹

وقد زالت ولاية القضاء عن الكهنة وأصبحت من اختصاص الملك، وهكذا ظهرت محاكم مدنية يتولى فيها وظيفة القضاء موظفون يقوم الملك بتعيينهم للفصل في المنازعات بإسمه، أما الاختصاص الذي يمارسه مجلس الشيوخ في العهود القديمة فقد تلاشى، ولم يبق منه إلا فصل نزاعات قليلة القيمة أو إجراء الصلح شأنه شأن القضاء الديني الذي أصبح ينحصر في القسم (مراقبة أدائه)، إذ لا يعتد بأقوال الشهود أمام القضاء، بل يجب الإدلاء بها في المعبد أمام الإله.

ويتميز القضاء المدني الذي ساد في عهد حمورابي بوحدته بالنسبة لجميع المواطنين، إذ لم يكن هناك فصل بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية، وتعدد درجاته، حيث تدل النصوص على وجود محكمة عليا وهي " محكمة الملك " التي تنظر في حالات إنكار العدالة ووصول الإثبات إلى درجة من التطور فكانت الكتابة تقوم بالدور الرئيسي في شهادة الشهود واليمين، والابتلاء بالمحنة، بالإضافة إلى المحاكم الإقليمية²، وأكل هذا التشريع للملك والقضاة تنظيم الأمور الجنائية بدل الانتقام الفردي كالأخذ بالنار، وتم إلغاء التعويض الاختياري عن الجرائم والاستعاضة عنه بالتعويض الإجباري، وهو ما يدل على فكرة نمو السلطة والدولة واضطلاعها بتحقيق العدل³.

¹ - أنور أبو بندورة، حمورابي مشرعاً ومدوناً، الموقع الإلكتروني: <https://www.mafhoum.com>، تاريخ الاطلاع: 2022/05/20، الساعة 21:15

² - لتفصيل أكثر حول هذا الموضوع أنظر:

- د/ حسيب إلياس حديد، دراسات في حضارة بلاد الرافدين، دار الكتب العلمية، دون تاريخ طبع، ص 05.

³ - علي لنهار، قانون حمورابي: ملامح تشريع عنوانه " القصاص " حيناً، و " الحدأة " حيناً، الموقع الإلكتروني: <https://marayana.com>، تاريخ الاطلاع 2022/05/20، الساعة

ولكن مهما قيل عن مميزات وخصائص شريعة حمورابي إلا أنها لم تسلم من النقد لاسيما في مجال العقوبات حيث اعتمدت شريعته على مبدأ القسوة في العقوبات والجزاء، وهيمن مبدأ القصاص أو العين بالعين ، السن بالسن ، حتى وصفه البعض بأنه تشريع بدائي لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار لا طبيعة الجريمة ولا ظروف ارتكابها ولا عناصرها ، ولا شخصية المجرم .

● خاتمة:

من خلال البحث في شريعة حمورابي والاطلاع عليها، يتضح لنا أن هذه الشريعة تجسد عبقرية حمورابي ليس من ناحية تدوين القانون فقط، وإنما كذلك من ناحية قوة قراراته، ولعلّ أهم شعار يميزها هو " لا يحق للقوي أن يؤذي الضعيف"، فلا يوجد اليوم كلية في الحقوق في أي رفة من العالم لا تدرس شريعة حمورابي.

حيث عملت بنود هذه الشريعة على إحقاق الحق والعدل والمساواة بين الجميع دون استثناء ، وهذا لا يعني أن هذه القوانين والشرائع لا تمتلك أهميتها بعد ان اجتازتها العصور ، فهي تؤكد بما لا يقبل مجالا للشك أن العراقيين القدماء هم أول من أشار إلى مفرد الحرية ، وهم أول من أكد على أهمية حقوق الانسان في العدل والحرية والمساواة بما يوفر الحياة الحرة الكريمة للبشر ، وهم بهذا الإنجاز العظيم يكونوا قد سبقوا الحضارة الغربية بقرون ، وتعتبر الحضارة الغربية أول من استفاد من بنود هذه الشرائع والقوانين ، فمثلا شريعة المرأة لم تحصل عليها المرأة الفرنسية إلا في مطلع القرن 20.

وإن كانت هناك شرائع سبقت حمورابي فيما يخص المخالفات والعقوبات ولكنها لم تكن بالصيغة التي ابتدعها حمورابي ووضعتها في مكان عام ليطلع عليها الشعب، حيث لا يمكن لأحد أن يتدبر بجهل القانون تبعا للقاعدة القانونية السائدة اليوم.

وتخليدا لهذه الشريعة تحمل المحكمة العليا الأمريكية نقش حمورابي على الرخام ، موضوعا بين المشرعين التاريخيين الذين يصطفون على الحائط الجنوبي لقاعة المحكمة ، لذلك هناك من يرى أن قانون حمورابي مآثرة تاريخية وإنسانية خالدة في حضارة

العالم.